«القدس العربي» ترصد حركة كبار فتح إبتداء من منزل عبد الرؤوف الروابدة في العاصمة الاردنية عمان:

حرب الرسائل والتعميمات للسفراء عادت مجددا.. ومصالحة عباس والقدومي سيدفع ثمنها الوزير الزهار
مكاتب «حماس» تتفوق على أقاليم «فتح» في معركة جمع أموال التبرعات والإشتراكات من الجاليات

عمان ـ «القدس العربي»

ـ من بسام البدارين:

اداء الرئيس الفلسطيني محمود عباس يثبت ان الرجل يمشي على حد السكين او بين الالغام مع بوصلة محددة مسبقا لكن فرصتها في النجاح تساوي فرصتها في الفشل.

وحتى الخبراء في برامج عباس وانفعالاته وتحديدا المقيمين في عمان فشلوا في قراءة مبررات حاجته للقاء خاص مع النخبة الاردنية، فالرجل وعلى نحو مفاجيء وقبل ساعات قليلة من توقفه الاخير في العاصمة الاردنية عمان اجرى اتصالا هاتفيا مع شخصية اردنية بارزة وكان على الجهة الاخرى من الخط الهاتفي نائب رئيس مجلس النواب الاردني ورئيس كتلة التجمع الديمقراطي وصديق عباس الشخصي الدكتور ممدوح العبادي.

مضمون المحادثة الهاتفية كان سريعا فقد عبر عباس عن رغبته في ان يلتقي بمجموعة من النخب وقادة الرأي والسياسة في المعادلة الاردنية ملمحا الى ان مثل هذا التلاقي قد يكون مناسبا على مأدبة عشاء لكن العبادي لحظتها لم يكن في عمان او لديه برنامج اخر فدعا عباس للترتيب مع عبد الرؤوف الروابدة.

للحظة ما اختطف العبادي الذي لا ينقصه الذكاء ولا الخبرة ولا الدهاء ايضا ما هو جوهري في مسألة صديقه الرئيس، فالاجواء عاتية حد حركة حماس وافضل عدو سياسي في الاردن للحركة هو الرئيس الروابدة الذي ابعد قادتها عندما كان رئيسا لحكومة عمان.

وهكذا حصل الترتيب فقد رتب الروابدة الذي كان ولا زال من اللاعبين الاساسيين في المعادلة الاردنية حفل عشاء صغيراً الى حد ما يقال ان خمسين شخص على الاقل حضره، وكان من بين الحضور الرجل الاول في مكتب الملك عبد الله الثاني الدكتور باسم عوض الله الذي خاصمه المضيف الروابدة ايضا سياسيا على مدار سنوات.

ممازحات مع قريع

وحضر نفر من النواب واعضاء البرلمان وقادة فلسطينيون يقيمون في الاردن واضفى الروابدة الذي يتمتع بحس الدعابة جوا من المرح والتعليقات المبطنة على الجلسة وناقش الجميع الكثير من الملفات ثنائيا وجماعيا قبل ان يسأل الروابدة احمد قريع ممازحا: نحن في الاردن لدينا اعمال مهمة كرؤساء وزارات بعد التقاعد فماذا يفعل رئيس وزراء فلسطين السابق؟

هنا ظهر الاستغراب على وجه احمد قريع فأوضح الروابدة ان هناك اعمالا اجتماعية يقوم بها الرؤساء المتقاعدون من طراز قيادة الجاهات في حالات الزواج فضحك الجميع الا ان قريع علق قائلا بانه لا يفعل ذلك لانه مازال لديه اعمال مهمة يقوم بها.

وخبراء حركة فتح يعرفون ان قريع مشغول هذه الايام بجولة في اوساط الحركة يشرح فيها اوضاعها المالية الصعبة ويحاول خلالها الاجابة على سؤال: اين ذهبت اموال حركة فتح؟

وبطبيعة الحال نوقشت قضايا كثيرة في هذه الامسية وبرزت مستجدات وكشفت بعض الاسرار وبدا واضحا لجميع الحاضرين بان الرئيس عباس لديه برنامج خاص للانقضاض على حركة حماس وهو برنامج يمكن تلمسه من عدة خطوات واعتبارات تبدأ حصريا من الجلوس وسط النخبة السياسية الاردنية في منزل الروابدة الخصم الاشرس لحركة حماس في الساحة السياسية الاردنية والذي اصر حتى وقت قريب على الدفاع عن قراراته الشهيرة بابعاد قادة حماس الاردنيين قبل نحو خمس سنوات.

إنعاش المركزية وإحتواء القدومي

وهنا بشكل محدد تقفز الى الواجهة مستجدات تجبر الرئيس عباس حسب شخصيات فتحاوية اعتادت على زيارة عمان والتحدث لنخبتها على الانقلاب على حماس والمشي في حقل الالغام، ففي بعض اوساط فتح اتهم عباس بانه السبب الرئيسي لتحقيق فوز حماس الكاسح في الانتخابات التشريعية، والرجل كما قال مقربون منه اصبح فجأة معنيا برد هذا الاتهام في ضوء الواقع الذي يؤكد حالة الانقسام والتفتت الحادة داخل تنظيم حركة فتح.

وبالنسبة للرئيس عباس اصبح انجاز برنامج سياسي جديد يواجه خطة اولمرت الاحادية يتطلب العمل على تصليب الصف الداخلي التنظيمي في حركة فتح، وبالنسبة لعباس فان اعادة انتاج مشهد ونفوذ حركة فتح مهمة مستحيلة بدون لجم حركة حماس وتقليص هوامش المبادرة والمناورة امامها، الامر الذي يفسر ثلاث خطوات رئاسية عباسية متتالية هي: التلويح بالاستفتاء على وثيقة الاسرى والمعتقلين، والدعوة لما سمي بحوار المؤتمر الوطني، والاستعداد لزيارة تونس مع اكبر عدد ممكن من اعضاء وقادة اللجنة المركزية في حركة فتح.

وعباس بهذه الصورة يمشي فعلا على حد السكين ومخاوفه التي عبر عنها في عمان للمقربين فقط منه تتضمن المجازفة بالاستسلام لتيار قوي داخل حركة فتح كان من مدة قصيرة حليفا قويا لعباس، وعباس المح بوضوح الى ان لجم حماس قد يعني استسلام الرئاسة لهذه المجموعة التي تتحدث باسم فتح الجديدة، والوقائع تؤكد وجود وفرة مالية بأيدي قادة التيار المشار اليه يقابلها ازمة مالية حادة في اطر ومؤسسات حركة فتح الشرعية القديمة.

وتكتيك عباس لمواجهة هذه المخاوف يتضمن العودة بعد فوز حماس لاطارات منظمة التحرير قدر الامكان على اساس ان هذه العودة ضمانة يمكن ان تخفف من حدة نفوذ مجموعة فتح الجديدة.

ويلاحظ فتحاوي عريق تحدث لـ«القدس العربي» بان هؤلاء رموز فتح الجديدة وهم الذين يتحدثون في الاعلام والفضائيات الان باسم حركة فتح وباسم الشعب الفلسطيني مقابل غياب تام ومطلق عن المشهد الاعلامي لرموز مؤسسات فتح العريقة المخضرمة والتاريخية، سواء المنضوية تحت لواء اللجنة المركزية النائمة التي لم تعقد منذ فوز حماس وحتى الان ولا اجتماعا واحدا لتدارس ازمة الحركة او الأزمة الفلسطينية. فتيار فتح الجديد يضغط بقوة باتجاهات مضادة لاجتماع اللجنة المركزية الذي اصبح حلما بالنسبة لابناء حركة فتح والذي يستعاض عنه بمشاورات واتصالات هاتفية بين الحين والاخر تشمل من تبقى حيا او بصحة جيدة من اعضاء المركزية في عمان وتونس ورام الله. وتكتيك عباس اصبح صعبا للغاية ويتطلب خطوات دقيقة جدا من بينها حل الاشكال القديم بين عباس وفاروق القدومي ثم محاولة اخراج اللجنة المركزية من غرفة الانعاش ثم العودة قدر الامكان لصياغات منظمة التحرير.

وكل هذه الخطوات تفسر زيارات عباس لعمان واهتمامه العاطفي جدا باصلاح العلاقة مع فاروق القدومي وكلامه في القاهرة وعمان بين الحين والاخر عن مؤسسة منظمة التحرير والاوراق التي يخرجها من جيبه بين الحين والاخر ايضا تحت عناوين مثل الاستفتاء والمؤتمر الوطني.

أقاليم فتح تعاني العجز المالي

وبالنسبة للفتحاويين في رام الله برز مؤخرا سبب وجيه جدا يدفع عباس للاهتمام بكل ما سبق، فثمة صراع خفي لا يتحدث عنه الاعلام خلف الكواليس بين ممثلي حركة فتح وممثلي حركة حماس على جمع ما يمكن جمعه من مال الفلسطينيين في الجاليات والشتات، فحركة فتح بحاجة ملحة للمال بسبب ازمتها المالية الكبيرة التي تترافق مع سؤال المال الراحل او المسروق وحركة حماس تنفق المال على اعضائها وموظفيها في اجهزة السلطة فقط، وممثلوها في دول الخليج وبعض الدول العربية وفي سورية ينجحون في جمع اموال كثيرة لصالح الحركة من الفلسطينيين في الشتات والجاليات.

وعلمت «القدس العربي» من مصادر في رام الله ان امناء سر اقاليم حركة فتح في الدول العربية اعدوا تقارير سلبية عن الصعوبات البالغة التي يواجهونها في جمع الاشتراكات والتبرعات من الجاليات، واطلع الرئيس عباس شخصيا على تقارير ميدانية تؤكد ان حركة حماس تفوقت على فتح خلال العام 2006 في ما يتعلق بجمع التبرعات والاموال من الفلسطينيين، وقالت هذه التقارير ايضا ان كثيرا من الفلسطينيين في الخارج اعتذروا عن دفع تبرعاتهم الموسمية لامناء سر اقاليم فتح ودفعوا بالمقابل لممثلي حماس او لمؤسسات تابعة لحماس او داعمة لها.

واشارت التقييمات التي لحقت بهذه التقارير الميدانية الى ان الاوساط الفلسطينية التي اعتادت الدفع لحركة فتح في الشتات بدأت تطرح اسئلة حرجة على ممثلي الحركة عند السؤال عن الدعم المالي وهي اسئلة تتعلق بمن تدفع لهم هذه الاموال وبمظاهر الفساد، وكذلك بمظاهر الثراء الفاحش التي يعيشها بعض قادة فتح والسلطة، وبالتالي شكلت هذه الاستفسارات والتعليقات والاسئلة عامل تحجيم لمستوى ما يجمع في اقاليم فتح وكان ذلك من الاسباب الرئيسية التي عززت قناعة الرئيس عباس بضرورة التحرك فتحاويا في الاطار الداخلي والعربي لصالح الحركة ولاعادة مستويات التوازن المالي على شكل تبرعات لما كانت عليه قبل فوز حماس الامر الذي يفسر وجود خطط عند الرئيس وبعض كبار حركة فتح لعقد اجتماعات قريبة مع الجاليات وتحديدا في دول الخليج حيث كانت تبرعات الفلسطينيين من العوامل المالية المعززة والرئيسية.

وفي السياق نفسه تقمص الرئيس عباس وفي اطار مصالحته مع القدومي شخصية جديدة تدافع عن مرجعية الدائرة السياسية في تونس فيما يخص شؤون السفارات والبعثات في الخارج، الامر الذي اعجب القدومي بكل تأكيد ودفعه لتفكيك تحالفه التكتيكي مع حماس عبر لافتة زيارات دمشق وحوار الفصائل، وهنا نجح القدومي في انجاز ما يريده فقد دفع عباس للعودة اليه بعدما جامل حماس عدة مرات في تعميمات علنية داعيا الشعب الفلسطيني للدفاع عن حكومته المنتخبة نكاية بخصومه في حركة فتح او بالذين خططوا لتجميد دوره.

وفي هذه النقطة حصريا حصل تقاطع غريب مؤخرا، فعباس والقدومي تحالفا عمليا لمنع وزير الخارجية محمود الزهار من التأثير في خارطة السفارات والسفراء في الخارج حيث تحول الرئيس عباس من مدافع عن وزير خارجيته السابق ناصر القدوة ضد القدومي قبل نحو عامين الى حليف للقدومي ضد الزهار الذي سعى بدوره للسيطرة على القرار الدبلوماسي وتحديدا المتعلق بالسفارات والبعثات خارج فلسطين، فقد اصبح عباس فجأة نصيرا لمؤسسات منظمة التحرير ودورها في الاشراف على الملف الدبلوماسي الخارجي لهدف تكتيكي واضح وهو منع الزهار من التحكم والسيطرة على هذا الملف.

حرب تعميمات مرة اخرى

ولذلك رأس القدومي وفد فلسطين الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد حاليا في ماليزيا.

وكان رد القدومي على خطوة عباس التقاربية مباشرا وسريعا، فقد اوقف الرجل اتصالاته الحوارية المفترضة مع قادة حماس وامتنع عن اصدار تعميمات تجامل حماس، وفوق ذلك اصدر القدومي تعميما غريبا للسفارات والبعثات مؤخرا تضمن الاشارة الى ان منظمة التحرير هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني وهي عضو كامل في الجامعة العربية وفي الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي وعضو مراقب في الاتحاد الافريقي وفي الامم المتحدة.

وخاطب القدومي في تعميمه السفراء قائلا: تعلمون ان الدائرة السياسية هي وزارة خارجية فلسطين في المنفى منذ عام 1988 وبالتالي هي الممثل والمرجع في الشأن الدبلوماسي. وفي نفس التعميم وصل القدومي الى نقطة تظهر تحالفه وتصالحه مجددا مع الرئيس عباس حيث قال للسفراء: لا حاجة للقول بان الاخ رئيس اللجنة التنفيذية هو الذي يمثل الشعب الفلسطيني وهو الذي يمثل الشعب في جميع القمم والمؤتمرات وله الحق في تشكيل الوفود حسب ما يراه مناسبا.

وبهذه العبارات في التعميم يتراجع القدومي ضمنيا عن مضامين وردت في تعميمات سابقة له ضد عباس، الامر الذي يعني ان الرجلين تلاقيا عند هدف محدد فقد حصل القدومي على ما يريده عبر عودة سيطرة دائرته على السفارات وسحب ملف الصلاحيات من وزير خارجية الحكومة الذي ينتمي لحركة حماس، كما يحصل عباس على ما يريده بالمقابل فيكتفي شر استقطابات القدومي لحماس ويندفع خطوة تكتيكية باتجاه خطه للجم حماس.

وليس سرا في السياق نفسه ان تعميم القدومي بخصوص السفارات الاخير صدر بعد رصد رسالتين وجههما مباشرة محمود الزهار لسفيرين فلسطينيين في الخارج بصفته وزيرا للخارجية ومسؤولا عن السفارات، فالرسالة الاولى وجهها الزهار للسفير الفلسطيني في ماليزيا عبد العزيز ابو غوش يلومه فيها على عدم توجيه الدعوة واوراقها لمكتبه مباشرة بخصوص اجتماع وزراء خارجية المؤتمر الاسلامي الحالي في ماليزيا، كما وجه الزهار رسالة اخرى للسفير الفلسطيني في اسبانيا كفاح عودة يؤنبه فيها على عبارة قيل للزهار ان السفير عودة قالها في احد الاجتماعات ومضمونها ان حماس صنعتها اسرائيل.

والمعلوم ان السفير عودة من اكثر الشخصيات العريقة والمتزنة والبعيدة عن الاضواء والاثارة في حركة فتح اضافة الى ان المقربين منه ينفون عنه ما اتهمه الزهار به فيما يتهم الزهار نفسه الان بتجاوز حدود مسؤولياته عبر خطاب مباشر لاحد السفراء يتعلق برواية منقولة على الالسنة خلافا حتى للاعراف الدبلوماسية.

فاروق القدومي

عبد الرؤوف الروابدة

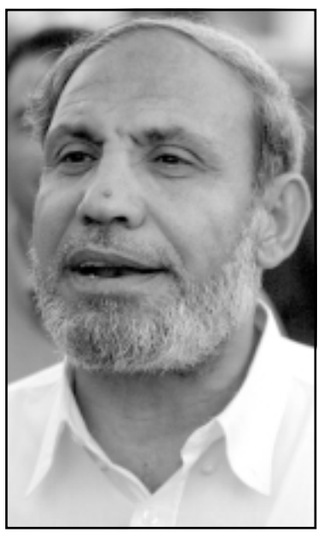

محمود الزهار

هجمات ساخرة ضد جمال.. تشبيه معاملة المعارضين بسجناء «ابو غريب».. واستعدادات في المدن الساحلية لموسم الصيف.. واخبار حول الفنانات

حملات ضد مرشد الاخوان.. وسخرية من الذين يكتبون خطب الرئيس.. وابراهيم يتهم مبارك بإصدار الأوامر لوزير العدل لمحاربة القضاة

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الاخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة امس الاثنين عن رئاسة الرئيس مبارك اجتماعا وزاريا لبحث مشروعات الرعاية والتأمين الصحي، التي يتم اعدادها وتأكيده على أن يشمل التأمين كل المصريين بحلول عام 2010 وهو الآن يشمل 52 % وفتح مستشفيات الجيش ومراكزه الطبية امام المدنيين والتنافس بينها وبين المستشفيات العامة والخاصة وانتخابات الغرف التجارية وأخبار عن أعمال بلطجة وتزوير واعتداءات لمنع مرشحي الاخوان ورسوم التسجيل ومد خط الترام من حلوان الى مدينة 15 مايو بجنوب القاهرة والامتحانات والاستعدادات لفصل الصيف في المدن الساحلية وارتفاع حجم الدين المحلي الى 440 مليار جنيه وحضور المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع احتفال سلاح حرس الحدود بيوم التفوق واخبار الفنانة حنان ترك بعد ارتدائها الحجاب، وإلى شيء مما تحت أيدينا اليوم:

الرئيس مبارك

ونبدأ برئيسنا وخطابه في المنتدى الاقتصادي العالمي بشرم الشيخ والذي قال عنه زميلنا ممتاز القط رئيس تحرير «اخبار اليوم» يوم السبت:

«ولأن التصفيق في بلاد الغرب قيمة ودلالة ومغزى، غير تلك التي نعرفها في بلادنا العربية، دوت قاعة المنتدى بالتصفيق الحاد للرئيس مبارك عدة مرات، وهو يلقي خطابه التاريخي خلال افتتاح المؤتمر، خطاب الرئيس مبارك عكس حكمة وحنكة، صاغتها سنوات كفاح طويلة من اجل رفع اعلام النصر، وعمل دؤوب وشاق امتد ليشمل كل ربوع وطنه، يحمل الأمل، ويطرق بقوة ومقدرة أبواب المستقبل، من اجل أجيال جديدة، كان حديثا من القلب، ترجم فيه الرئيس مبارك أحاسيس ونبض شعبه، وهو يتوق للسلام والاستقرار والتنمية، فقد أيقظ حديثه الضمير الإنساني، الذي راح في سبات عميق، يغمض الطرف عن ممارسات وسلوكيات ومعايير مزدوجة، تحاول ان تفرض نفسها عن ساحة التعاملات الدولية!!».

طبعا، طبعا، هكذا رئيسنا على الدوام وهكذا تكون الخطابات وإلا، فلا، ولذلك لم أتقبل ما كتبه في اليوم التالي ـ الأحد ـ في جريدة «الوفد» استاذ القانون بكلية الحقوق بجامعة المنصورة الدكتور الشافعي بشير عن خطاب رئيسنا:

«وأيا كان الذي كتب الخطاب للرئيس مبارك، فهل اقتنع الرئيس بذلك الكلام قبل ن يلقيه أمام المؤتمر وأجهزة الاعلام في العالم التي شهدت الأحداث الأخيرة لثورة القضاة على تزوير الانتخابات وتعرضهم للإهانة والضرب أي ديمقراطية وحقوق انسان ودستور وشرعية يتحدث عنها محمد حسني مبارك الذي ترأس البلاد خمسة وعشرين عاما تحت اسم الحاكم العسكري العام بقانون الطوارىء الذي ألغى الدستور الدائم لعام 1971 وأصبح هو الدستور الحقيقي للبلاد بمصادرة الحريات وكثرة الإعدامات بالأحكام العسكرية وكثرة الاعتقالات وفرض الحراسات على النقابات وضيق الجامعات بالأمن السياسي حتى تخلفت عن ركب الجامعات الاسرائيلية وغيرها، كما أفصحت عن ذلك احصاءات ترتيب الجامعات في العالم.

ويقول الرئيس في خطابه «إن مصائرنا بأيدينا، وبأن أحلام شعبنا هي أحلام غير مؤجلة».

هل أذكر السيد الرئيس بأن السيدة الفاضلة سوزان مبارك قد أعلنت منذ عدة سنوات عن خطة توفير كوب لبن وبيضة في الصباح لكل طفل، هل تحقق هذا الحلم بسياسة رشيدة للحكومة؟!

وكم كان يساوي كوب اللبن في ذلك الوقت، وكم كانت تساوي البيضة؟! وكم أصبحت الآن بعدما ارتفعت أسعارها أضعافا مضاعفة تعجز ملايين الأسر المصرية عن توفيرها لأبنائها، لقد تجاوز كيلو اللبن أربعة جنيهات ياسيادة الرئيس، وتجاوز سعر البيضة الواحدة المتوسطة نصف جنيه، وكانت اسعار كوب اللبن والبيضة تحسب بالقروش عند بداية حكم سيادتك.

حضرات الكتاب العظام الذين تكتبون خطب رئيس الجمهورية، لا تكتبوا كلاما يسخر منه الناس عندما يقارنون بينه وبين واقعهم الأليم».

وإذا كان الشافعي بشير يقول ذلك، فما الذي نتوقع من الدكتور سعد الدين ابراهيم ان يقوله في نفس اليوم ـ السبت ـ في «المصري اليوم» عن رئيسنا، غير كلمات تثير غضبنا من عينة:

«ما سمعناه طوال الأسابيع الأخيرة من الرئيس حسني مبارك حول أزمة القضاة ومحنة القضاء في مصر، فقد دأب الرئيس على ترديد عبارة انه «لا يتدخل في شؤون القضاء»، و«على القضاة ان يحلوا مشكلاتهم الداخلية بأنفسهم» يقول ذلك أو عبارات اخرى بنفس المعنى، يقول الرئيس ذلك وكأنه لم يعين وزير العدل الحالي، الذي هو جزء من السلطة التنفيذية، وكان هذا الاخير لم يأخذ الضوء الاخضر ان لم يكن الامر المباشر قبل احالة المستشارين الجليلين، محمود مكي وهشام البسطويسي، الى محاكمة تأديبية، كانت القشة التي تقصم ظهر البعير، يقول الرئيس ذلك وكأنه غير مسؤول عن تجميد مشروع قانون استقلال السلطة القضائية لأكثر من خمسة عشر عاماً، رغم وعوده المتكررة، والتي بدت في مؤتمر العدالة، الأول عام 1984 ـ أي قبل عشرين عاما ـ وكان آخرها اثناء حملته الانتخابية لرئاسة خامسة في خريف العام الماضي «2005» هذا هو الرئيس المتأني، لأكثر من خمس عشرة سنة هو نفسه الذي دفع بتعديل دستوري ـ أي أهم من أي قانون ـ في أقل من خمسة شهور «بين 28 فبراير و25 مايو 2005» فسبحان مغير السرعات».

لا، لا، هؤلاء أناس يريدون نشر الشائعات والخزعبلات ـ والعياذ بالله ـ في نفوسنا عن رئيسنا بعكس زميلنا وصديقنا اسماعيل منتصر رئيس تحرير مجلة «أكتوبر» الذي أعاد الطمأنينة والثقة اليها بقوله:

«كل الذين تابعوا خطاب الرئيس مبارك في افتتاح المنتدى الاقتصادي العالمي، الذي اقيم الاسبوع الماضي بمدينة شرم الشيخ وكل الذين التقوا به، لم تفتهم ملامح الفرحة والسعادة التي بدت على وجهه.

الرئيس عنده حق، فقد أكدت المناسبة نجاح مصر وقدرتها على تنظيم مثل هذا الحدث العالمي ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد لسعادة الرئيس مبارك، فمن المؤكد ان نجاح منتدى شرم الشيخ أزال من أذهان العالم الحادث الإرهابي الذي تعرضت له مدينة دهب، من المؤكد ان هذا النجاح استعاد لمصر ثقة العالم».

طبعا، طبعا، هكذا رئيسنا على الدوام، ودائما هو متسامح ولا يغضب حتى من أي هجوم، والدليل قول صابر البنا في جريدة «الغد» التي تصدرها مجموعة موسى مصطفى موسى المشقة عن غد أيمن نور في عددها يوم السبت بعموده ـ مفيش فايدة ـ «لقد ثبت لي بما لا يدع مجالا للشك ان مساحة الحرية التي يتمتع بها الكاتب المصري بلا حدود وأن سعة صدر الرئيس مبارك بقبول الرأي والرأي الآخر ليس لها نهاية وحرص الرئيس على فتح باب الحرية على مصراعيه دون قيود، وبرغم انني تجاوزت الحدود والخطوط الحمراء في مقال الاسبوع الماضي وتناولت فيه «جملا» لم تكن في موضعها ونقد لاذع لشخص الرئيس ومع ذلك لم تستدعني جهة ما ولم يعاتبني مسؤول، فهل هناك حرية اكثر من ذلك، وهل هناك سعة صدر أوسع من هذا، ان ما يتمتع به الكاتب والصحافي المصري وما تتناوله الصحف بكل ألوانها ومشاربها ونقد لشخص الرئيس منذ سنوات ورغم كل هذا لم تغلق صحيفة ولم يقصف قلم، ألم يكن كل هذا دليلا قاطعا على مساحة الحرية التي يتمتع بها أصحاب الرأي في مصر.

وليس من الحق والواقع ان نختصر تاريخ الرئيس مبارك وبطولاته وحرصه على لم الشمل العربي في واقعة أو موقف، فما كتب في العدد الماضي تناولت فيه ان الرئيس مبارك كان نسرا جويا خاض حرب النصر في أكتوبر 1973 واختلافنا معه ماهو إلا اختلاف شركاء الوطن والأرض، أكتب هذا وأؤكد ان كل حرف منه صادر من داخلي مثلما انفعلت الاسبوع الماضي وليس وليد ضغط من شخص أو جهة ما، ومن هنا أؤكد تقديري للرئيس فمهما اختلفنا مع الحكومات والانظمة فيظل شخص الرئيس الفيصل والحكم».

جمال مبارك

وإلى جمال مبارك الذي قال عنه زميلنا كاتب «صوت الأمة» الساخر محمد الرفاعي في بابه ـ يوميات مواطن مفروس ـ «من دخل أمريكا وقلوظ العمة الأمريكاني على نافوخه، فهو آمن ومن زار مجلس الشيوخ ملس بيده على المشايخ الطاهرة، فهو آمن، ومن دخل مقام سيدنا ومولانا الحاج محمد بوش، وقبل يده الشريفة، فقد عكم البلاد والعباد من رقبتها، وهو آمن، ومن أخذ العهد على يد الولية السودة الكودة راس العبد كوندوليزا، فقد أصبح ملك البرين والبحرين وهو آمن، ومن قبل أحجار البيت الابيض المقدس، فقد ورث الوطن ومن عليه، وهو آمن!! فالطريق الى العرش يبدأ وينتهي عند أمريكا، الراعي الرسمي للعروش العربية، والتي اصبحت مثل عش الدبابير اللي عمالة تقرص في جتة الوطن، والطريق الى قصر العروبة قد بدأ فعلا من منتدى دافوس الاقتصادي حيث تتم في هدوء ورواقة عملية تسليم الوطن على المحارة، عشان الرئيس الجديد يفرشه على مزاجه، على اعتبار ان الشعب مش واخد باله، الأوطان اللي حواليه كمان.

فعندما سافر السيد جمال مبارك الى أمريكا فجأة وفي السر من باب داري على شمعتك تقيد، أعلنوا أنه سافر بصفته أمين لجنة السياسات في الحزب الوطني، ليشرح للإدارة الأمريكية اللي مخها تخين مسيرة المخفي على عينه الإصلاح السياسي، وأن إصلاحنا غير إصلاحهم لا مؤاخذة، فإصلاحنا حكيم كما اعلن الرئيس مبارك، وهو بالمناسبة لا يمت بأي صلة قرابة لتوفيق الحكيم أو آثار الحكيم، عكس اصلاحهم الطاش اللي نافوخه لاسع، وبتاع نسوان كمان، وأن اصلاحنا محترم وله هيبة حيث يتم اصلاح الوطن بالشوم وجزم العساكر، وأي نطع يفتح بقه، ياخد بالاصلاح على دماغه ودماغ اللي خلفوه كمان، وأن الاصلاح الحقيقي شعاره التوريث اساس الملك، وما عدا ذلك، فهو مجرد سمكرة ودوكو وتغيير عفشة.

وفي هذه الحالة، يبقى الوطن راح في داهية خلاص، لأن عفشته اتسرقت من زمان، عموما، لن نتوقف عند حدود الصفة التي سافر بها جمال الى امريكا، أو عند حدود انه سافر بطائرة الرئاسة مخالفا بذلك الدستور لأنه جايز مأجرها باليومية أو كان له في ذمة الرياسة قرشين، فخد الطيارة رهن لحد ما يدفعوا».

وأنا مضطر لايقاف الرفاعي عند هذا الحد حتى لا يتمادى اكثر لنتجه لجريدة «التجمع» التي حولت موضوعها الرئيسي بالصفحة الأولى الى جمال وخطيبته الآنسة خديجة الجمال لحضورهما أعمال المنتدى الاقتصادي في تحقيق كتبته زميلتنا أمنية فهمي مع عنون مثير هو: ابن مبارك يفرض بنت الجمال سيدة أولى لمصر ـ قالت فيه:

«في تجل لسيطرة «الثروة» على «السلطة» في مصر والزواج الكاثوليكي بينهما الذي لا فكاك منه في عهد حسني مبارك، فرضت خديجة الجمال، بنت رجل الاعمال النافذ محمود الجمال، وخطيبة جمال مبارك نجل الرئيس الذي يستعد لوراثة والده، نفسها على منتدى دافوس الدولي بشرم الشيخ، باعتبارها سيدة مصر الاولى المقبلة، وبدت الآنسة خديجة وكأنها تستعد للقفز على كرسي سيدة مصر الاولى بعد ان اصر خطيبها على جلوسها بجواره في الصف الأول المخصص لرؤساء الدول ورؤساء الوزارات وكبار الوزراء رغم ان البروتوكول يمنع نجل الرئيس من الجلوس في الصف الأول، لأنه غير ذي صفة رسمية مما أربك المسؤولين عن البروتوكول وأثار غضبهم.

وأثار ظهورها، وخاصة بعد ان اصر خطيبها على ان تجلس الى جانبه بالصف الأمامي بين أحمد أبو الغيط وزير الخارجية ورشيد محمد رشيد وزير التجارة والصناعة، مخالفا بذلك الأعراف والبروتوكولات الدولية المتبعة في تلك المناسبات علامات استفهام كثيرة».

ثم نتحول الى مجلة «روزاليوسف» وزميلنا بـ«الأهرام» صبري الجندي الذي كتب في المجلة يقول عن الذين هاجموا زيارة جمال لأمريكا:

«هل يحتاج جمال مبارك الأمين العام المساعد وأمين السياسات بالحزب الوطني ان يحصل على صك الغفران من المعارضة المصرية بمختلف انتماءاتها الفكرية وتوجهاتها السياسية لمجرد انه قام بصفته الحزبية بزيارة غير رسمية للولايات المتحدة الامريكية التقى خلالها بعدد غير قليل من صانعي القرار الأمريكي ابتداء من وزرائه ومستشاريه وقادة الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ولم تكن الموضوعات التي تم استعراضها في هذه اللقاءات سرية ايضا والتفسيرات الساذجة التي خرجت من المتربصين بجمال مبارك وله تمحورت حول ما أشاعه هؤلاء من ان جمال ذهب الى الأمريكيين يطرح نفسه كوريث للحكم وللحصول على مباركتهم على مشروع التوريث، وسواء أعلنت مصر عنها أو لم تعلن فالهجوم على جمال مبارك وعلينا لم يكن ليتوقف، بعد ان اصبح الهجوم بكل ما يحمله من كذب وافتراء سمة لعدد ليس قليلا من المتاجرين بهذا الوطن».

معارك وردود

وأخيرا الى المعارك والردود وأولها لزميلنا وصديقنا اسماعيل منتصر رئيس تحرير مجلة «أكتوبر» الذي انقض فجأة على المرشد العام للاخوان محمد مهدي عاكف قائلا عنه: «لم يتعلم المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين «المحظورة» الدرس!، لم يتعلم ان يضبط ايقاع كلامه، ولم يتذكر ان للحديث تقاليد وآدابا، خاصة عندما يكون موجها للرأي العام، لم يتعلم المرشد العام ولم يتذكر فوقع في نفس الخطأ مرتين.

وهكذا وبعد عبارة «ظط في مصر»، واعتبرها زلة لسان، يتعجب من زلات لسان رئيس الوزراء وخاصة التي أطلقها العام الماضي في أمريكا عندما وصف المصريين ـ على حد قوله ـ بأنهم شعب جاهل لا يفهم الديمقراطية ـ مع ان رئيس الوزراء لم يقل ذلك، انما قال ان الشعب المصري لا يزال في حاجة للوقت لكي يستوعب ثقافة الديمقراطية.

«الجزمة» التي قال المرشد العام ان المحبين للإخوان سيضربون بها كل من يعارضهم، ليست فلتة لسان رجل عصبي وحاد المزاج، لكنها تعبير عن ابتعاد الاخوان عن مفهوم الديمقراطية فلا يمكن ان يكون ضرب المعارضين «بالجزمة» أو بغيرها من الديمقراطية، ومع ذلك فلا تنقطع أحاديث المرشد وقيادات جماعته عن الديمقراطية وسعيهم لتحقيقها، وليس في ذلك تناقض، فالاخوان اكتشفوا ان اسهل طريق للحكم الديكتاتوري هو الديمقراطية!».

واستمرت عملية التركيز على حكاية الضرب بالحذاء فقال امس الاثنين زميلنا حسن الرشيدي رئيس تحرير صحيفة «المسائية» ـ يومية ـ «كلمة «طز» في مصر، التي جاءت على لسان مرشد الاخوان محمد مهدي عاكف اثارت ضجة ثم مرت ولكن يبدو ان المرشد لم يشعر بغضب الناس واستمر في كلماته المسمومة واضاف على كلمة «طز» بـ«الجزمة»!

من حق المرشد أن يقول ما يشاء، فلا تحاسبوه، اتركوه وشأنه، فماذا تفعل إذا كنت تمشي في الطريق ورأيت عجوزا يتوكأ على عصاه وفجأة رأيته يسبك ويشتمك، ويهذي بكلمات غير مفهومة هل تحاسبه؟

بالطبع لا، ستقول فقط ـ انه شيخ مسن، مسكين، ربما اصابه المرض، ادعوا له بالمغفرة والرحمة ولا تذبحوه وتسلخوه!! علمتني الحياة، أن نراعي الشيخ والمسن والمريض!».

ونترك «المسائية» الى الخميس ورئيس تحريرها التنفيذي زميلنا عاطف زيدان الذي تناول نفس الموضوع في بابه ـ يوميات مفقوع جدا ـ بقوله: «أخطأ المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين المحظورة في حق نفسه وجماعته وحق مصر كلها عندما انفعل في احد الحوارات الصحافية وقال «ظط في مصر» ثم عاد وكرر الخطأ في حواره مع ثلاثة من شباب كلية الاعلام الذي نشرته «الخميس» العدد الماضي عندما اكد انه في حال وصول الاخوان للحكم فان مؤيديهم سيضربون من يسيء للجماعة بالجزم. لقد حاول البعض ان يبرر غلطة المرشد في حواره الاول بأنه تعرض لاستفزاز صحافي محترف، فماذا يمكن القول ازاء خطأ المرشد في حواره مع شباب يخطو أولى خطواته على بلاط صاحبة الجلالة، لقد اغتر الاخوان بما كسبوا من مقاعد في الانتخابات البرلمانية الاخيرة فتصوروا انهم مؤهلون للحكم والقيادة فاذا بزعيمهم يكشف عن وجه مخيف في حوارات صحافية».

ونظل في «الخميس» بعض الوقت، لنقرأ لمستشار التحرير زميلنا محمد الباز قوله الذي هاجم فيه المرشد والحكومة معا: «لقد هاجت الدنيا على مهدي عاكف لأنه قال سنضرب المعارضين بالجزمة، اعتبروا ذلك سقطة مدوية ـ وهي كذلك بالفعل ـ لكني لا ألوم على الرجل العجوز لسبب بسيط ان أي سلطة ستصل الى الحكم لن تتورع عن ضرب المعارضين بالجزمة ثم ما الذي تفعله الآن حكومة الحزب الوطني، انها تسحل المعارضين على اسفلت الشوارع، تهتك اعراض الرجال وتغتصب النساء، تزج بهم في السجون بلا ذنب ولا جريمة ثم تأتينا آخر الليل لتحدثنا عن الحرية والديمقراطية ليس معنى هذا انني التمس العذر لمهدي عاكف او ابرر له فعلته لكني فقط أحاول ان اضع الموضوع في سياقه وحجمه دون زيادة او نقصان».

ومن المعارك النظرية الى الحقيقية فجريدة «الفجر» قالت عن احداها:

«الفرق بين ما حدث بسجن أبو غريب بالعراق على يد القوات الامريكية وما حدث الخميس الماضي لاثنين من شباب النشطاء السياسيين على يد قوات الامن المصرية ان الاول وقع داخل جدران السجن وسجلته احدى الكاميرات مصادفة أما الثاني فتم امام برجي الحرية والعدالة امام نقابة الصحافيين ونادي القضاة واللذين شهدا مطاردة الشابين محمد الشرقاوي وكريم الشاعر من نشطاء حركة كفاية واللذين لم يمر سوى ايام معدودة عن الافراج عنهما، وتكرر القبض عليهما بطريقة وحشية الخميس الماضي وطارد البلطجية محمد الشرقاوي من نقابة الصحافيين حتى شارع شامبليون وبعد الامساك به ق